نقوش باللغة اليونانية في مدفن كنيسة الرحيبة الشمالية (صحراء النقب) في مقاطعة فلسطين الثالثة في العصر البيزنطي ـ دراسة تاريخية

هاشم إسماعيل الجاسم

أستاذ مشارك في كلية الآداب ، جامعة القدس ، فلسطين .

الملخص

استهدف هذا البحث دراسة بعض النقوش باللغة اليونانية في مدفن كنسية الرحيبة الشمالية من القرن السادس الميلادي . بدأت هذه الدراسة بتقديم لمحة تاريخية عن مدينة الرحيبة ، ويوجد في كنيستها الشمالية أربعون نقشا باللغة اليونانية وسبعة نقوش عربية ، وتناول البحث أحد عشر نقشا باللغة اليونانية اكتشفت في مدفن داخل الكنيسة ، وتمت ترجمتها من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية ودراستها من الناحية التاريخية . ولعل هذه الدراسة تكون بداية لطلاب التاريخ والآثار في الجامعات العربية لدراسة نقوش مدفن كنيسة الرحيبة في سياق الكشف عن تاريخ فلسطين في العصر البيزنطي .

تعريف ولمحة تاريخية

بدأ ظهور الأنباط على مسرح التاريخ منذ عام 312 ق .م ، وذكرهم ديودوروس الصقلي (Diodorus Sicily) وسماهم نابيوت (Nabayot) ، والمحتمل أنه يقصد شعب الأنباط . وقد كانوا في بداية حياتهم قبائل من البدو الرحل ، يتعاطون مهنة التجارة التي جعلت منهم شعباً غنيّاً ، ونقلوا معهم كثيرا من العادات العربية الأصيلة ، مثل الصدق والصبر والأمانة من جنوب الجزيرة العربية إلى أجزاء أخرى في منطقة البحر المتوسط[1] .

بدأ الأنباط الاستيطان في الشمال والوسط من صحراء النقب قبل القرن الأول للميلاد ، ودلت على ذلك النقوش النبطية التي اكتشفت في إلوسا (Elusa) والتي يعود تاريخها إلى عام 107ق .م ، وهي نقوش كتبت باللغة الآرامية[2] . وفي عام 106م ضم الرومان دولة الأنباط إلى الإمبراطورية الرومانية ، وسموها المنطقة العربية (Provincia Arabia) . وفي عام 295م تغير اسم المنطقة العربية ، إلى مقاطعة فلسطين ، وفي سنة 358م تشكلت مقاطعة جديدة باسم فلسطين سالوتاريس (Palestine (Salutaris . وفي عام 425م تغير اسمها إلى فلسطين الثالثة Palestine tertia وعاصمتها البتراء ، وكانت الرحيبة جزءاً من فلسطين الثالثة[3] . ويذكر الواقدي أن الأنباط كانوا على علاقات تجارية مع الجزيرة العربية ؛ يحملون إلى المدينة القمح والزيت في أيام الجاهلية ، وبعد الإسلام أصبحوا عيوناً للمسلمين ، وقد قرر الرسول ﷺ القيام بغزوة تبوك بناء على معلومات من الأنباط حول تحركات البيزنطيين وحلفائهم من القبائل العربية لخم وجذام وغسان وعاملة[4] . وكانت الرحيبة أحد أماكن الاستيطان الكبيرة في صحراء النقب ، خلال عصور الأنباط والرومان والبيزنطيين ، وكان ذكرها يأتي دائما مع إخوتها الخمس من مدن المنطقة ؛ إلوسا (Elusa) ، وسوباتا (Sopta) ، ونيسانا (Nisana) ، ومابسيس (Mapsis) ، وعبادة (Eboda) وكان بين هذه المدن الست وجوه شبه ، حيث تقع كلها على مفترقات الطرق إلى صحراء النقب ، كما أنها بنيت حول محيط من الأراضي الزراعية التي ترويها تجمعات مياه

الأمطار والسيول ، فضلا عن تشابهها في طريقة البناء . وتعد مدينة الرحيبة ثانية هذه المدن اتساعا بعد إلوسا (Elusa) .

والمصادر التاريخية عن مدن صحراء النقب قليلة جداً ، وتوجد في الآثار الباقية وكتب الرحالة الذين زاروها منذ القرن التاسع عشر . وأول باحث زارها هو إدوارد روبنسون (Edward Robinson) الذي كتب عنها ، وأعجب بآثارها ، وذكر أن اسمها القديم يمكن أن يكون هو الاسم المحلي الآن : الرحيبة[5] . وفي عام 1870م قام إدوارد هنري بالمر (Edward Henry Palmer) بزيارة الرحيبة . ووصف آثارها وكتب عن كنيستها الجنوبية[6] . وفي عام 1902م زارها الباحث ألواس موسيل (Alois Musil) وذكر حائط الرحيبة وأبوابها وكنيستها الواسعة[7] . وفي عام 1909م قام الباحث الأمريكي إلسوورث هنتكتون (Ellsworth Hunting-ton) بزيارة الرحيبة ، وكتب عن آثار بنيتها وأراضيها الزراعية المحيطة بها[8] .

وفي عام 1931م زار الرحيبة العالمان الأثريان ولي (C.L.Waalley) ولورانس (Lowrence) في فريق عمل واحد ، وذكروا كنيستها الوسطى وخانها[9] . وخلال الحرب العالمية الأولى قام العالم الألماني ويكند (T.W.egan) ، بزيارة إلى الرحيبة ، ووصف شوارعها وكذلك البناء الذي كان خارج المدينة وعرف بالدير[10] . وفي التاريخ نفسه زارها العالمان الفرنسيان فانسان (H. Vincent) وأبل (F.M.Abel) ونشرا بحثا عن الكنائس في مدنية الرحيبة وصحراء النقب[11] . وفي عام 1921م كتب العالم الألماني أت (Aet) بحثاً عن النقوش في منطقة النقب ، ويعد بحثه من أهم الدراسات في موضوع النقوش في صحراء النقب بصورة عامة ، وفي الرحيبة بصورة خاصة ، وفيه حدد الباحث بداية التاريخ في منطقة النقب ، وبدأه بشهر .March 22, A. D 106 (Xanthicus) [12] . وفي عام 1975م أجرى السيد يورام تسافري (Yoram Tsafrir) الحفريات في كنيسة الرحيبة الشمالية ، وأنهى عمله عام 1976م ، ونشر تقريره عن آثار الكنيسة الشمالية عام 1988 [13] . وقد بنيت كنيسة الرحيبة الشمالية خارج مركز المدينة ، وتبعد خمسين متراً عن طرف المدينة الشمالية .

ويثور سؤال هنا : لماذا بنيت الكنيسة الشمالية في هذا المكان؟ ويصعب الجواب ؛ لأن المصادر لم تذكر شيئاً عن ذلك . ولعل الأرض التي بنيت عليها الكنيسة وتكاليف البناء كانا هبة من الهبات . وقد عثر في الكنيسة على أكثر من أربعين نقشا باللغة اليونانية ، وسبعة نقوش باللغة العربية ، وعثر في القاعة الكبيرة على مدافن يعلو جدرانها أحد عشر نقشا باللغة اليونانية ؛ خمسة منها في الممر الشمالي ، وثلاثة في الممر الغربي ، وثلاثة أخرى في الممر الجنوبي . ولعل النقوش كانت أكثر من ذلك في هذه المدافن ، ولكن بتأثير بعض العوامل الطبيعية اختفى قسم كبير منها . ويذكر أن هذه النقوش كتبت بين عامي 448م و555م ؛ إذ تم دفن خمسة أشخاص تحت أرضية قاعة الاجتماعات في الكنيسة المذكورة . ويعتقد أن هؤلاء الأشخاص كان لهم منزلة دينية واجتماعية رفيعة في مجتمع مدينة الرحيبة الذي قدر عدد أفراده إدوارد روبنسون بما يتراوح بين 12000 و15000 نسمة[14] ، على حين قدر عدده إليسوورث بحوالي من 1000 إلى 2000 نسمة[15] . أما السيد بروشي فيقدر عدد سكان الرحيبة بحوالي 4000 نسمة[16] ، ويصل تسافري بالعدد إلى 4500 نسمة[17] . وقد وجدت ثلاثة قبور في الممر الشرقي من كنيسة الرحيبة ، اكتشفت في القبر الأول جثة شخص بمفرده في الممر الشرقي الغربي لقاعة الاجتماعات ، وكان ممدداً على ظهره كما هو مبين في الشكل (1) . ويبلغ من العمر ما بين 35 - 40 سنة ، وطوله تقريبا 168سم[18] .

أما القبر الثاني فكان بين القبر الأول والحائط الجنوبي للكنيسة ، وعليه علامة مكتوب بقربها «مكدونياس» (Macdonias) كما يظهر في الشكل (2) . ويحتوي القبر الثاني أيضاً ثلاث جثث أخرى ؛ جثة لامرأة يتراوح عمرها ما بين 35 و40 سنة ، وطولها حوالي 150 سم . وجثة لأخرى يتراوح عمرها ما بين 20 - 30 سنة ، وطولها حوالي 161سم[19] . أما الجثة الثالثة فهي لرجل يتراوح عمره ما بين 25 - 30 سنة ، وطوله حوالي 172 سم[20] . وهناك قبر آخر تكملة للقبر الثاني وجدت فيه جثة امرأة ممدة وحدها على فراش من الحجر ، وعمرها حوالي 60 سنة ، ويبلغ طولها حوالي 161 سم[21] . ونستطيع أن نستنتج أن

الطول في مدينة الرحيبة للرجل يبلغ حوالي 170سم إذا قارنا هذا مع طول سكان المنطقة الحاليين من البدو ، فإنه حوالي 167 سم . أما المرأة وفي قرية الرحيبة فيبلغ طولها حوالي 157 سم ، ويمكن أن يساوي طول سكان المنطقة من نساء البدو الحاليين في النقب[22] .

النقوش

النقش الأول : وجد منقوشا على الحجر الكلسي لأرضية الكنيسة من الجانب الشمالي ، ثم يبدأ برسم الصليب يليه الكتابة باللغة اليونانية .

الترجمة : (ارقد يا يعقوب ، أيها الكاهن المقدس . في 24 من الشهر هايبير تيوتييس ، Hypertieretais السنة 425 .

الخط الأول : إن كلمة ارقد (نم) هي كلمة يونانية ، وتعني النوم ، واستعملنا هنا بالترجمة (ارقد) بدلا من نم ، لأن المرقد هو القبر كما هو معروف . وتظهر هذه الكلمة في نقش آخر في كنيسة الرحيبة[23] . وكذلك في نيسانا[24] .

الخط الثاني : كلمة تريماكاريوس هي لقب ، ومن المحتمل أنه يعود إلى شخصية مهمة ذات منزلة دينية واجتماعية عالية ؛ امرأة أو رجل ، وليس رجل الدين فحسب . واسم يعقوب كان مشهورا في صحراء النقب[25] .

الخطان الثالث والرابع : من المحتمل أنه استخدم الشهر الذي كان سائداً في صحراء النقب ، ويمكن قراءته على أنه كان في شهر أكتوبر ، ولكن أي أكتوبر؟ . من المحتمل في 11 أكتوبر من 526 - 534م[26] .

النقش الثاني : اكتشف هذا النقش مكتوباً على حجر لأرضية الكنيسة من الممر الشمالي إلى الغرب قليلاً من النقش الأول فوق القبر الأول .

الترجمة : (ارقد وعليك النعمة الإلهية يا إريو ، في شهر أبيليوس-Apel) (laios في سنة (383م) .

الخطان الأول والثاني : كلمة ارقد هي (نم) كما مر في النقش الأول . أما تعبير ماكاريوس فكان تعبيراً عامّاً ، وجد في نقوش أخرى ومن المحتمل أن يكون لقباً للشخص الميت .

الخط الثالث : لم تظهر الكلمة بشكل جيد ، ولكن من المحتمل أن المقصود هو الشهر .

الخط الرابع : كلمة السنة غير موجودة ، ولكن وجود ثلاثة يحتمل معه أن تكون السنة 383م ، حسب تقويم النقب ، ولعله 22 نوفمبر أو 22 ديسمبر من عام 488م[27] .

النقش الثالث : وجد منقوشاً على الحجر في الجهة الشمالية بجانب الحائط الشمالي للكنيسة .

الترجمة : (يا ماريا أخلدي إلى الراحة ، وعليك النعمة الإلهية ، في الرابع من شهر أرتيميسيوس (Artemisios) [28] .

الخط الأول : بدأ النقش برسم للصليب ، وكلمة (أخلد) كانت شائعة في صحراء النقب .

الخطان الثاني والثالث : يظهر اسم ماريا كثيراً في نقوش الكنيسة الأخرى ، وهناك قسم مطموس من النقش يمكن أن يكون تتمة لاسم والد ماريا . أما شهر أرتيميسيوس (Artemisios) ، فهو الشهر الذي كان يستخدم في صحراء النقب وهو 15 آيار .

النقش الرابع : وجد مكتوباً على الحجر في القسم الغربي من الممر الشمالي لقاعة الكنيسة .

الترجمة : (أخلد إلى الراحة أيها الكاهن المقدس في 8 من الشهر عام 408) .

الخط الأول : أصيب النقش ببعض التلف ولعل الخط الأول كان فيه اسم الشخص ، ولكن لم يظهر هذا نتيجة للتلف كما ذكرنا .

الخط الثاني : لم يظهر اسم الشهر في النقش ، ولكن السنة 408 في النقب تكون بين 513 - 514م .

النقش الخامس : وجد هذا النقش مكتوبا على الحجر في النهاية الغربية للمر الشمالي ، وقد بقي هذا النقش على حاله ماعدا الخط الأخير منه فلم يبق منه شيء .

الترجمة : (اللهم أنزل الراحة على خادمك إلياس ، ابن ماكادونيوس ، الكاهن المقدس بالنعمة الإلهية في 7 من شهر ديسوس (Daisios) في سنة 437 في السنة الخامسة المبينة) .

الخط الأول ، والثاني : بدأ **النقش** برسم الصليب واسم الله ، ثم يستخدم كلمة ساعدنا ، وهذا النقش ناقص ؛ فقد كان كاتبه يضع حرف U اليونانية وربما يشير إلى كلمة نوم .

الخط الثالث : كلمة تريماكايورسوس كما ورد في النقش الأول ، ومن المحتمل أنه قد أسبغ لقب الكاهن المقدس على إلياس بن ماكادونياس الذي كان أحد أفراد عائلة ماكادونياس .

الخط الرابع : في 7 من شهر ديسيوس (Daisios) في منطقة النقب يكون مايو 27 ,1542 .

النقش السادس : وجد هذا النقش في الممر الجنوبي ، وقد تهشم جزء من هذا الحجر ، وفقد .

الترجمة : (لتُخْلدْ إلى الراحة وعليك النعمة الإلهية ماكادونياس في أول يوم من شهر أرتيمسيوس (Artemisios) السنة الأولى) . بدأ النقش برسم صورة للصليب وانتهى بصورة للصليب .

الخط الأول : استخدم الجملة المعتادة ليعبر عن الوصول إلى الراحة والنعمة الإلهية واستعمل أداء النداء في اللغة اليونانية (يا) .

الخط الثاني : ذكر اسم ماكادونياس فهو والد إلياس الذي سبق ذكره في النقش الخامس ، ومن المحتمل أنها للشخص الذي أنشأ الكنيسة[29] .

الخط الثالث ، والرابع : لعل الشهر كان في أبريل 21 ، ولكن السنة فقدت في الخط الرابع ، دفن إلياس عام 245 ولعل والد إلياس ماكادونياس قد دفن إلياس عام 485 ,500 ,515 أو 530م .

النقش السابع : وجد هذا **النقش** مكتوبا على حجر طولاني وقد تهشم جزء من هذا الحجر .

الخط الأول : مقابل الصليب محتمل أن يكون الحرف سيغما اليونانية ، وقد يكون لشخص اسمه ستيفانوس ؛ فهذا الاسم مشهور في النقش وظهر كثيراً في نقوش نيسانا[30] .

الخطان الثالث والرابع : استعمل حرف k ويحتمل أنه للتاريخ 420 حسب التقويم لمنطقة النقب ويساوي 525م .

النقش الثامن : وجد النقش الثامن فوق القبر رقم (1) في الممر الجنوبي وكان يحتوي على حرفين M K ، ولا يمكن التعرف إلى الاسم الذي يشير إليه هذان الحرفان ، ووجد رسم لصليب في وسط النقش .

النقش التاسع :

الترجمة : (فلتُخْلد إلى الراحة وعليك النعمة الإلهية ياستيفانونس إبيديلغوس ، في ١٧ من شهر ديسيوس (Daisios) ، سنة 499 الشهر الثالث) .

الخط الأول : هذا دعاء عام موجود في أكثر النقوش كما رأينا .

الخط الثاني : اسم ستيفانوس بشكل عام موجود في أكثر النقوش الأخرى في صحراء النقب ، أما اسم إبيديلغوس فهو اسم نبطي ، ولعل الدين المسيحي أصبح الدين الأساسي لسكان منطقة النقب من أصل نبطي[31] .

الخطان الثالث والرابع : استعمل كلمة شهر في النقش الثاني والسادس .

وأما الشهر السابع من سنة 499 الذي هو تقويم منطقة النقب يساوي 7 آذار 555م .

النقش العاشر : وجد هذا النقش على حجر مكتوب من الجهتين ، وكان مكسوراً إلى ثلاث قطع .

الوجه الأول : كتبت عليه أحرف قليلة غير مفهومة . أما الأحرف الأخيرة فمن المحتمل أنها تدل على التاريخ وهو 436 -541 .

الوجه الثاني : فقد الشيء الرئيس للنقش .

الترجمة : (لَتُكْن هادئا وعليك النعمة الإلهية يابتروس ابن أبو 27 فربما يدل أول الشهر) .

النقش الحادي عشر : وجد هذا **النقش** مكتوبا على حجر .

الترجمة : (أخْلدي إلى الراحة الإلهية يا ماريا ابنة كوريبوس في 23 من شهر ديسيوس (Daisios) في سنة 436) .

الخط الأول : تعبير عام استخدم في كثير من النقوش .

الخط الثاني : اسم ماريا استخدم في **النقش** رقم (3) .

الخط الثالث : إذا كانت القراءة صحيحة عن 23 من شهر ديسيوس في سنة 436 بتاريخ صحراء النقب فيكون 3 من شهر نوفمبر 541[32] .

ويمكن الاستنتاج من مجموع هذه النقوش أن اللغة اليونانية كانت هي اللغة المستخدمة في صحراء النقب في القرن السادس الميلادي ، وأن الديانة المسيحية كانت ديانة أهل الرحيبة وأهالي صحراء النقب . من عادة المسيحيين وضع مجوهرات مع الشخص أثناء دفنه ولكن لم يعثر على أي شيء في مدفن الكنيسة الشمالية .

ويمكن أن نقدر عمر الإنسان في صحراء النقب بالنسبة للرجل بما بين

30 - 40 . أما المرأة فيتراوح عمرها بين 30 - 35 . ويرى البعض أن السبب في قصر عمر الإنسان في صحراء النقيب يعود إلى سوء التغذية وتلوث المياه وعدم وجود نظام صحي .

وكثير من النقوش قد كتب عليها التاريخ المستخدم في صحراء ، وهو تاريخ يبدأ كما رأينا في 22 MARCH 106 ، وقد بدأه ألت Alt 47 - 51, 33 - 312 . ومن الشائع أن الكلمات كانت تكرر في مدفن الكنيسة وكذلك في نيسانا ، ولم يكن هناك أي قائد عسكري أو إداري فني في ذلك المدفن المحتمل .

الهوامش والمراجع

(1) J,D, Elliat.(1982) **The ELusa oikoumene.: A Geographical Analysis of an Ancient Desert Ecosten on Archaeological, Environment, Ethnographic, and Historical Data.** Mississipi: Cobb Institute of Archaeology, Mississipi State University, P. 30.

J, Bowersock. (1971) A report on Arabia Provincia. **Jounral of Roman studies**, P. 221.

(2) Elliat (1982). P. 31. & E, Robinson. (1856) **Biblica Researches in Palestine,** 2nd. London, pp. 196 -197 & Kraemer, (1958). **Excavations at Nessana.** vol 3. Princeton: colt Archaeolgical Institute. pp. 341 - 342.

(3) A, Jones. (1971). **The Cities of the Eastern Roman Provinces.** Oxford: Oxford University Press, , p. 547.

(4) الواقدي : كتاب المغازي ، تحقيق : د . مارسدن جونسن الطبعة الثالثة ، بيروت ، ج3 ، ص899 .

(5) E, Robinson. (1841) **Biblical Researches in Palestine, Mount Sinai and Arabia Petraea.** vol 1 London. pp. 289 - 291.

(6) E, Palmer, (1871) **The Desert of Exodus**. vol 2. Cambridge. pp 283 - 235.

(7) A,Musil. (1907) **Arabia Petraea.** vol 2, Edom, Part 2. Vienna. pp. 37 - 85.

(8) E, Huntington. (1911) **Palestin and its Transformation**. London. pp. 121 - 124 - 127.

(9) C, wolley & T. Lawrence. (1915) **The wilderness of Zin**. APEF 3. London. pp. 113 - 115.

(10) T, Wiegand. **sinai**. Berlin/Leipzig. pp. 57 - 61.

(11) H, Vincent & F, Abel. (1914). **Bethlehem- le sanctuaire de la nativite**. Paris. p.30.

(12) A, Alt. (1921) **Die griechischen Insckriften der Palestine tertia wetlich der Araba.** Berlin/leipzig. pp. 26 - 37.

(13) Y, Tsafrer. (1988) **Excavations at Rehaibah in the Negev**. Vol 1. "The Northern Church Qudem". Jerusalem: Institute of Archaeology. pp. 152 - 161.

Robinson. (1841). pp. 289 - 291. (14)

E. Huntington. (1911), pp. 121 - 124. (15)

B, Magen. **The population of Western Palestine in Roman - Byromtine Period.** American school of oriental research. pp. 236. 1 - 10. (16)

Tsafrir. (1988). p. 23. (17)

J, H. Musgrave & N, K, Haraneja. (1978) The Estimation of Adult Stature from Metacarpol Bone Length. **American journal of physical Anthropology.** 48, pp. 113 - 118. & H, Nathon. (1962). Osteophytes of the vertebral column: An Anatomical Study of their Development According to Age, Race and Sex with Considerations as to their Etiology and Significance. **Journal of Bon and joint surgery.** 44-A, pp. 243 - 268. (18)

Musgrare (1978) pp. 113-118. & Nathon (1972) pp. 243-268. (19)

Musgrare (1978) pp. 113-118. & Nathon (1972) pp. 243-268. (20)

Musgrare (1978) pp. 113-118. & Nathon (1972) pp. 243-268. (21)

Hershovints. (1984) **The Effect of Matin Type on Growth and Development of Children in South Sinai Bedouin Isolate.** ph. D thesis, Tel-Aviv. (22)

انظر النقش رقم2 . (23)

Alt. (1921) pp. 26 - 33. (24)

G, kirik & B, Wellel. (1962). **Excavation at Nissana (Auja Hafir, Palestine).** Vol 1, London: British school of Archaeology in Jerusalem pp. 130-210 & 211 - 288. (25)

من أجل اسم يعقوب انظر إلى

Preisigke, Namenbuch Enhaltent alle greichischen Menschemmamen (Heidlberg 1922).

(26) عن التاريخ انظر :

V. Grumel, (1958) **La Chronologie**. Paris. pp. 300-301 & E, Bickerman. (1968) **Chronology of the Ancient world**. London.

Alt. (1921). : عن التاريخ انظر (27)

Alt . (1921). p.33. (28)

بالنسبة للخط الثاني قائم على الاحتمال في القراءة وتفسير المعنى . (29)

Kirik.(1962) pp. 211 - 288 : انظر (30)

هذا الاسم موجود كثيراً في صحراء النقب وخاصة في نيسانا . (31)

كما ورد في النقوش السابقة . (32)

* * *

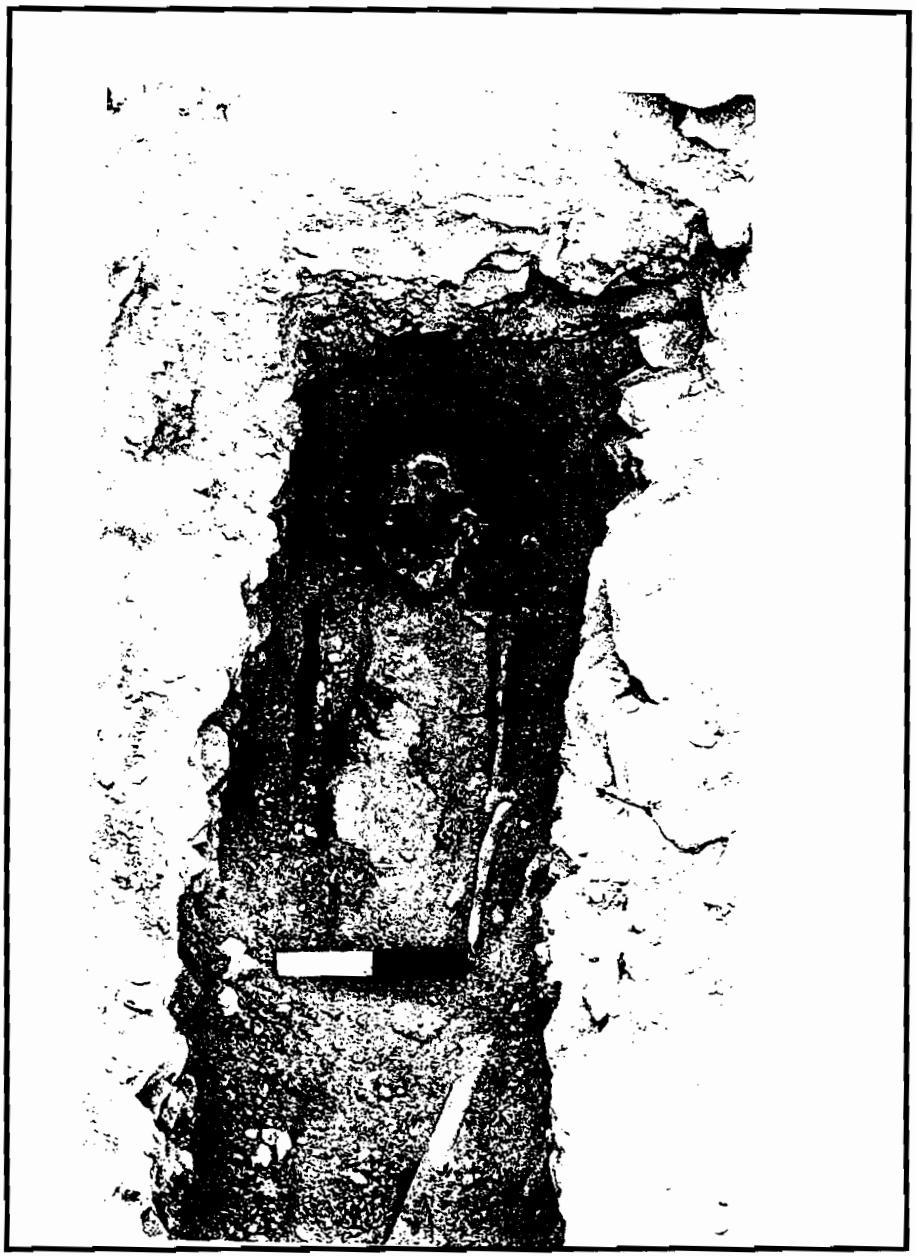

جثة القبر الأول شكل (1)

Tasfrir, Yoram, Excavations at Reheibah in the Negeve vol, 1, The Norther Church.

Qedem, 25 JERUSAUEM 1988 p.194

جثة القبر الثاني شكل (2)

Tsafrir, Yoram, P. 195.

جثة القبر الثالث شكل (3)

Tsafrir, Yoram, P. 195.

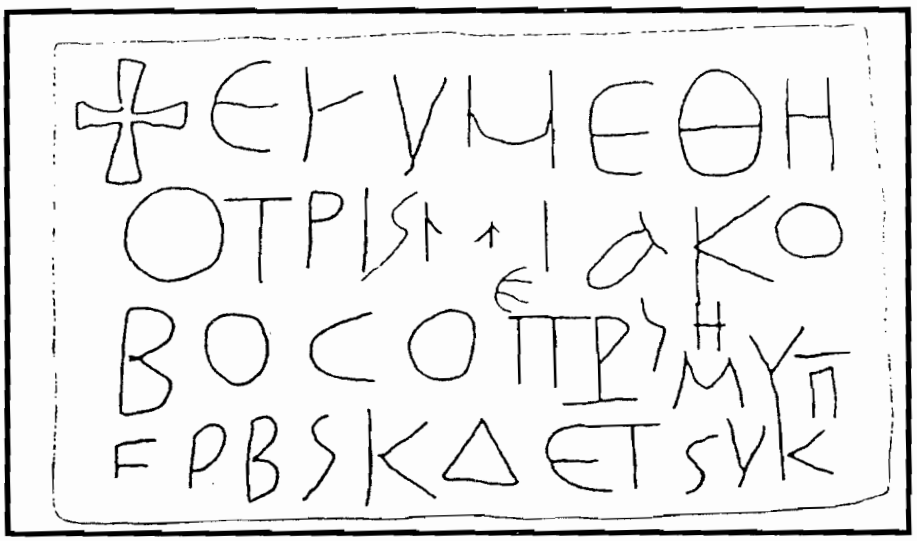

النقش الأول

Negev, Avraham, The Greek inscription from the Negev.

Jerusalem, fransiscan Press, 1981

Tasfrir, Yoram, Excavatin at Ruhaibah, Jerusalem, Oedum, 25, 1938.

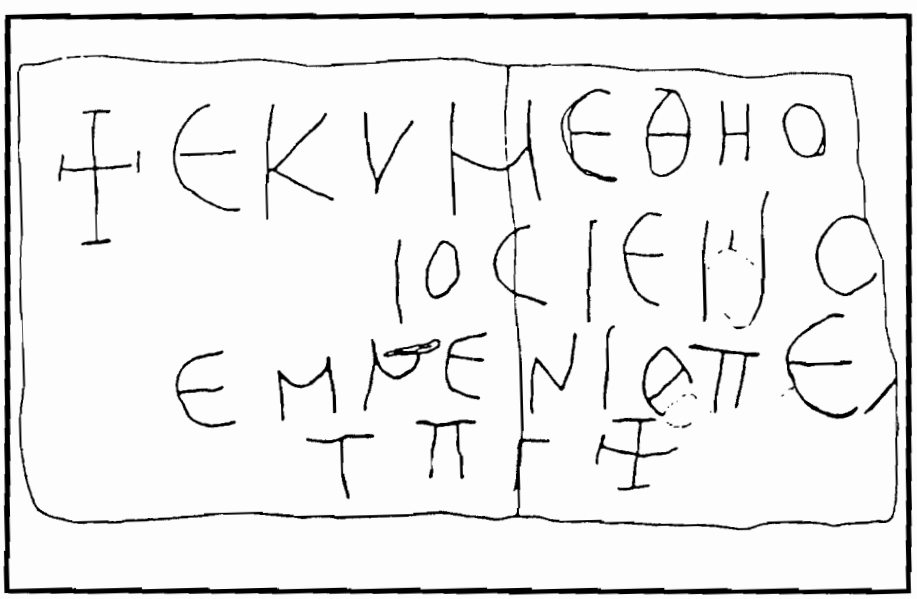

النقش الثاني

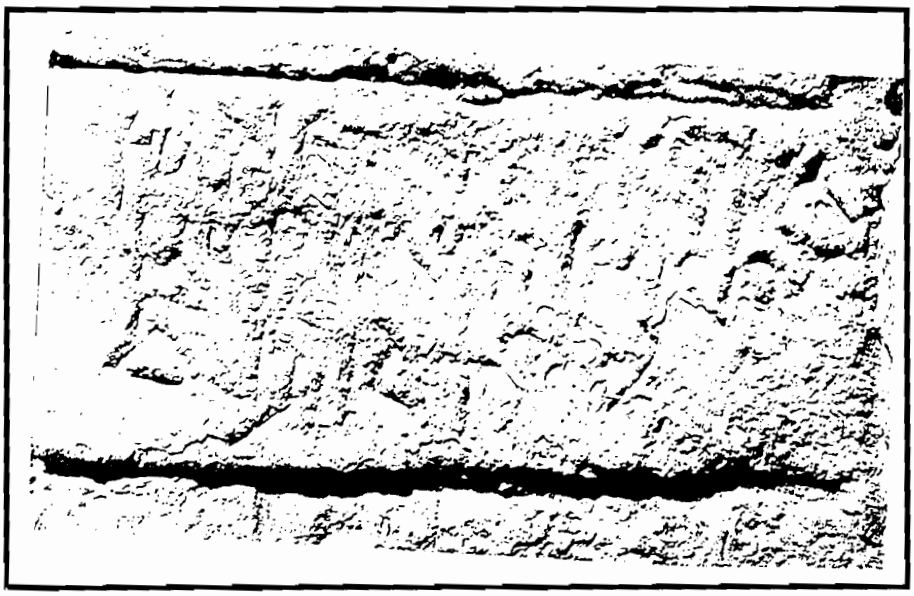

النقش الثالث

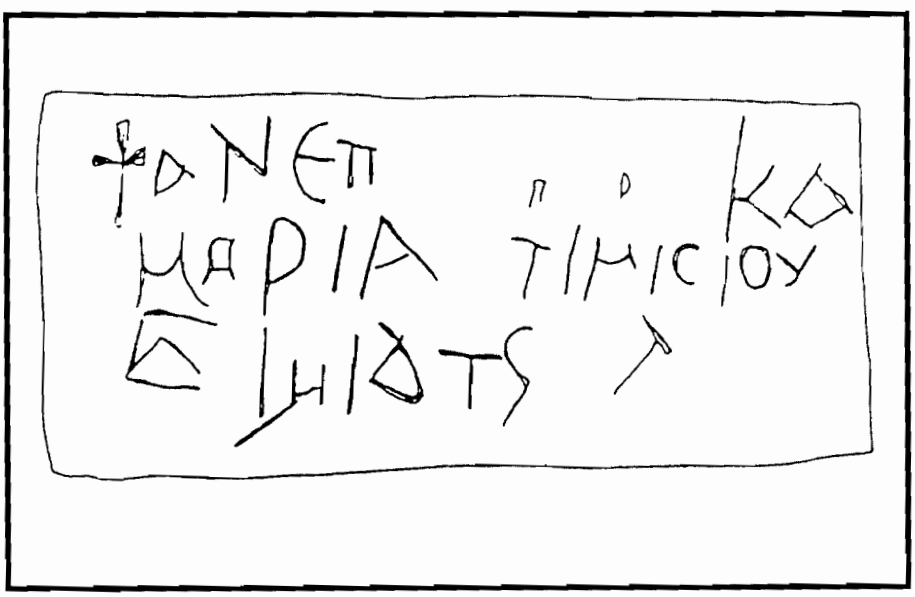

النقش الرابع

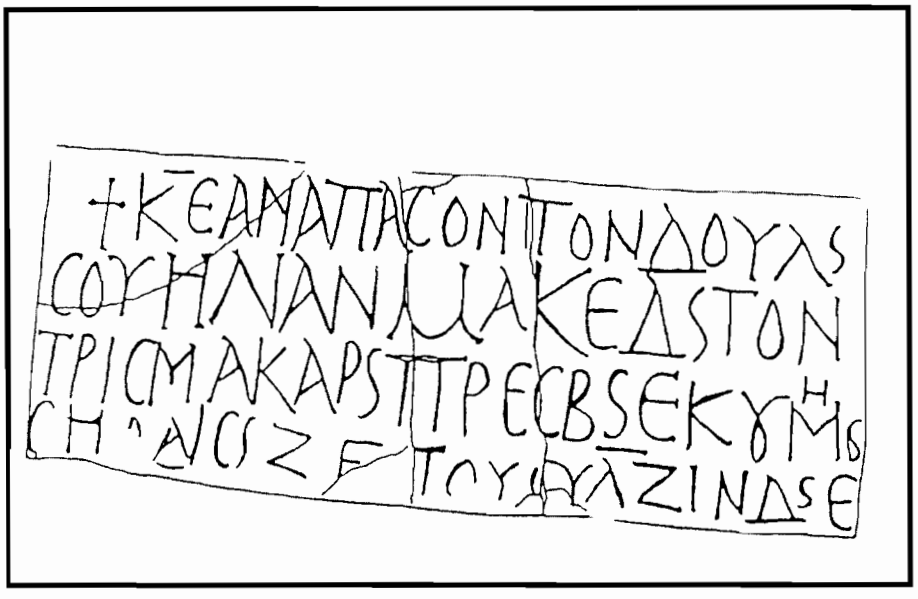

النقش الخامس

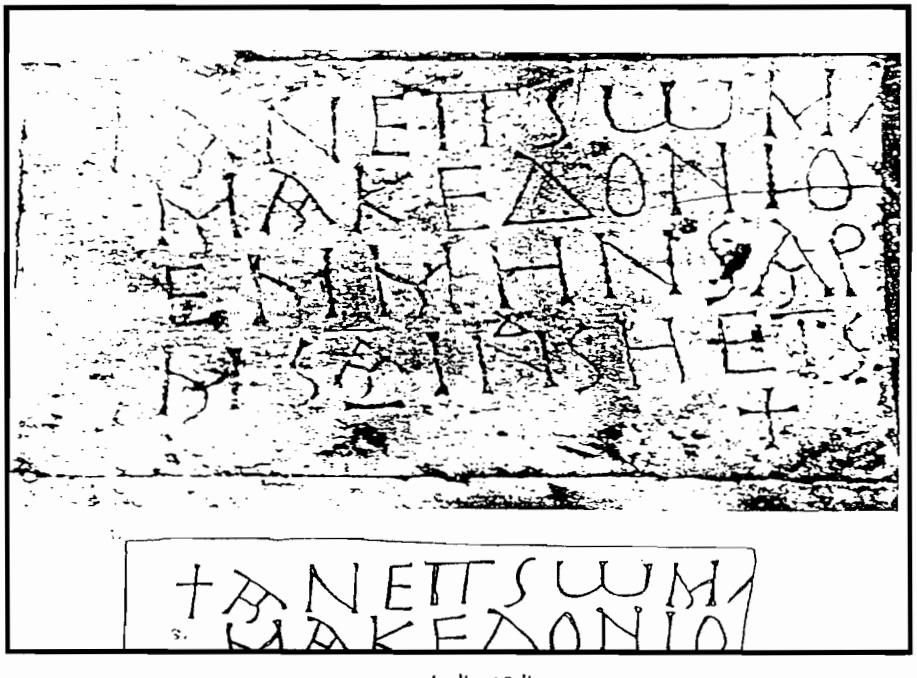

النقش السادس

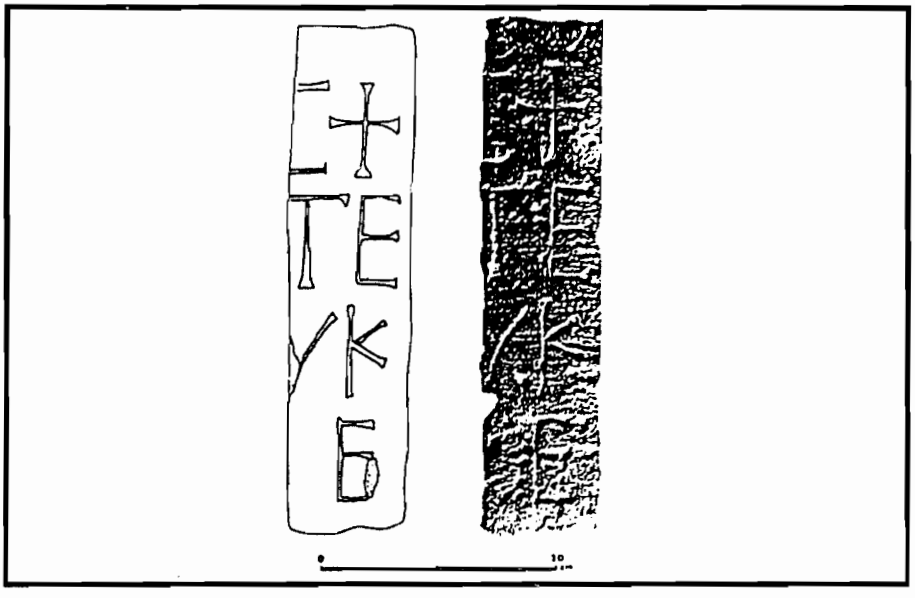

النقش السابع

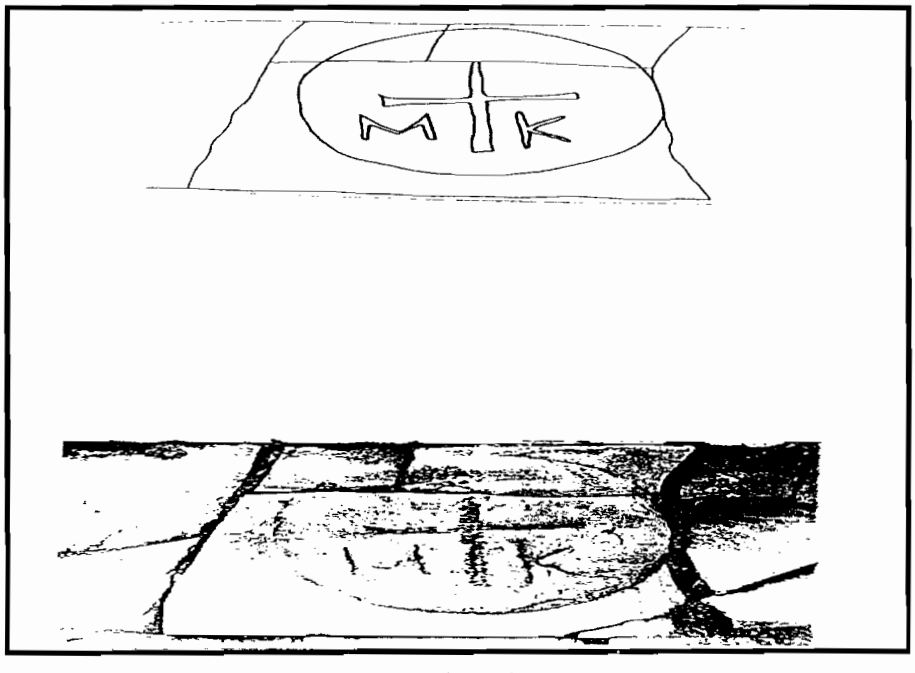

النقش الثامن

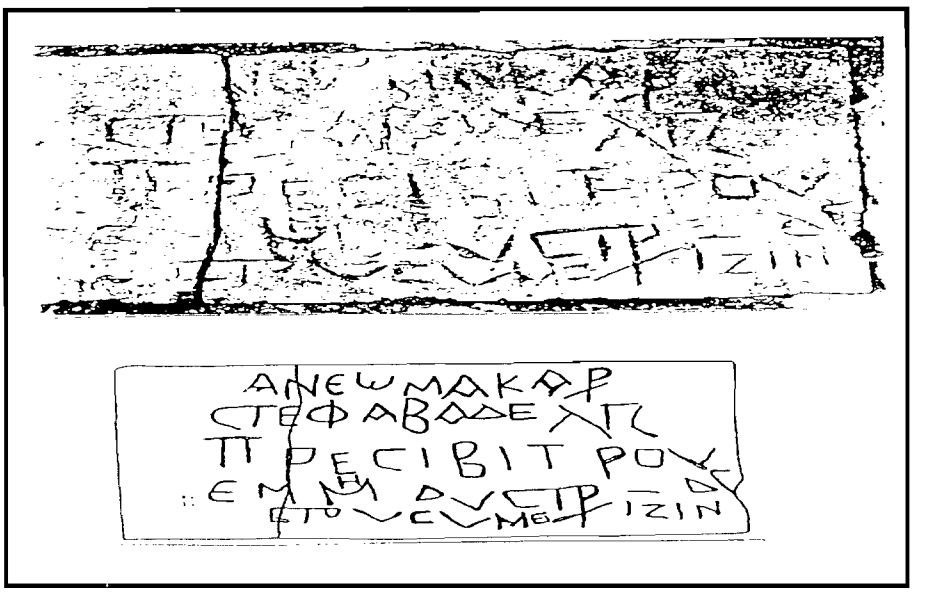

النقش التاسع

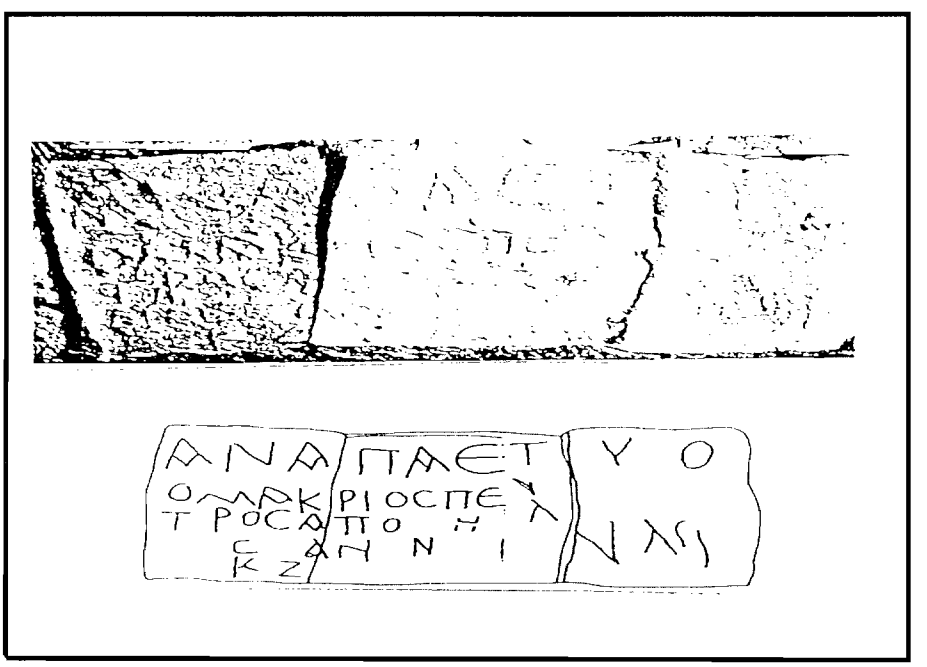

النقش العاشر

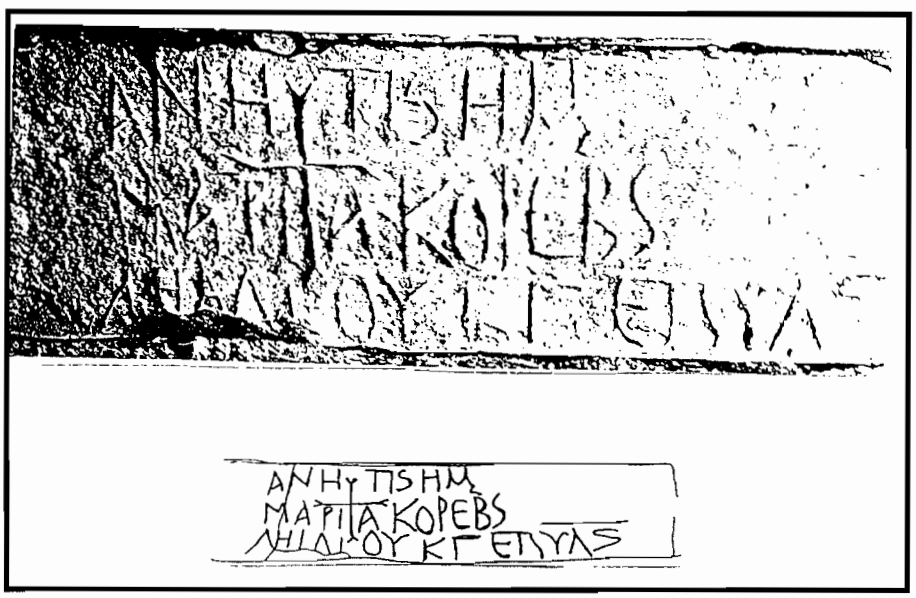

النقش الحادي عشر